الحياة الطيّبة
السنة ١٤
العدد ٢٣
خريف ٢٠١١ م
أبحاث ودراسات

السنن التاريخية الاجتماعية في التفاسير المعاصرة -قراءة في المباني والمرتكزات الفكرية -

د. محمد علي أيازي[١]
د. فاطمة حسيني ميرصفي[٢]

مدخل:

اقترن تاريخ تفسير القرآن الكريم في القرنين الأخيرين، بظهور حركات اجتماعية عديدة، ولا سيما حركات الصحوة الإسلامية التي شهدتها مختلف المجتمعات الإسلامية. ولم تكن هذه الحركات محدودة بزمان معين أو مكان خاص، بل كان لها أبعاد واسعة النطاق ما زالت مستمرة حتى وقتنا الحاضر، غاية الأمر أنّها توقّفت في بعض البلدان الإسلامية من دون الوصول إلى نتائج، بينما ما زالت مستمرّة في الحركة والنمو في مناطق أخرى.

ويعتبر الاتّجاه الاجتماعي أحد الاتّجاهات الهامّة والمؤثّرة في علم التفسير في العصر الحاضر، والنقطة الهامّة في هذا الاتّجاه، هي التغيّر الذي طرأ على نظرة علماء التفسير إلى القرآن الكريم واهتمامهم بالبعد الاجتماعي للقرآن بدلاً من الاقتصار على الرؤية الفردية والأخروية فقط، وعلى هذا الأساس

(١) كاتب وباحث في العلوم الدينية والقرآنية، وعضو الهيئة العلمية في جامعة آزاد الإسلامية - مكتب العلوم والدراسات.
(٢) دكتوراه في الإلهيات والمعارف الإسلامية (علوم القرآن والحديث) من جامعة آزاد الإسلامية – مكتب العلوم والدراسات. وعضو الهيئة العلمية في جامعة آزاد الإسلامية.
mirsafy@yahoo.com

نراهم يسعون وراء إيجاد حلول للمشاكل المادية والمعنوية في المجتمع؛ من خلال تفسير القرآن الكريم، وقد قام علماء التفسير المعاصرون، عبر فهمهم ونظرتهم الخاصة لمتطلّبات العصر الذي كانوا يعيشون فيه، ببيان الدلالات القرآنية والإجابة على تساؤلات المخاطبين واستفهاماتهم.

وعلى الرغم من اهتمام علماء التفسير المعاصرين بمنهج الاتّجاه الاجتماعي، ولكن القواعد الأساسية لهذا المنهج لم يتمّ الكشف عنها بشكل واضح، ونحن - في هذه المقالة -، سنتناول دراسة الأسس النظرية والعملية لهذا الاتّجاه، بالإضافة إلى مراجعة التفاسير الاجتماعية المعاصرة ودراستها.

ويعتبر التأكيد على هداية القرآن في جميع العصور، وشمول القرآن الكريم على الأحكام والتعاليم الاجتماعية، واهتمامه بموضوع الإصلاح الفردي والاجتماعي، والسعي لمواكبة الدين للمستجدّات والمتغيّرات العصرية، يُعدّ ذلك من أهمّ أسس هذا الاتّجاه، وهو ما سنتناوله في هذه الدراسة.

لا شك أنّ القرآن الكريم يُعدّ المصدر الرئيس للمعارف الإسلامية، والمعجزة الخالدة للنبي الأعظمﷺ، وهو الكتاب السماوي الوحيد الذي صانه الله -سبحانه وتعالى- من التحريف، بحيث يعجز البشر عن مجرد الإتيان بسورة قصيرة واحدة من مثله، فهو الذي يشع منه النور الباهر: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[1]، ويضمن السعادة والفلاح للناس: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[2].

فالقرآن هو كلام الله -جلّ وعلا-، الذي يشتمل على المعارف الإلهية المتعالية؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3].

كما أنّ فهم المعاني والمفاهيم القرآنية وإدراكها، يُعدّان من إحدى مراتب العلاقة والارتباط بالقرآن، وبالتالي يتوقّف الفهم الصحيح للقرآن الكريم على تفسير الآيات والإلمام بالمفاهيم الأولية للقرآن.

(١) النساء، ١٧٤.
(٢) إبراهيم، ١.
(٣) ص، ٢٩.

وتظهر أهمّيّة القرآن الكريم بوصفه المصدر الإيماني الأساس لكلّ مسلم. لذا، فإنّ السعي لفهم المفاهيم القرآنية وإدراك معانيها، يُعدّ خطوة كبيرة في طريق المعرفة الدقيقة لهذا الكتاب الإلهي. ومن هنا يأتي دور علم التفسير؛ لتجسيد المفاهيم القرآنية على مستوى الحياة الفردية والاجتماعية.

إنّ مسألة خلود القرآن وضرورة تواصل دوره التربوي والإرشادي في جميع الأزمنة والعصور ولجميع الأجيال من جهة، وحدوث التغيّرات الهامّة في المجتمعات البشرية وظهور التساؤلات والشبهات والمتطلّبات الجديدة من جهة أخرى، وكذلك حدوث التغيّرات الفكرية والاجتماعية العميقة في المجتمعات الإسلامية والحاجة إلى تحديد الرؤية القرآنية في هذه المواضيع، كلّ ذلك أدّى إلى اهتمام المفسّرين في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجري باتّجاه جديد في تفسير القرآن الكريم حمل اسم الاتّجاه الاجتماعي.

ويعتمد هذا الاتّجاه على تفسير القرآن الكريم حسب ما تقتضيه متطلّبات العصر، وبأسلوب يتبنّى معالجة المشاكل الاجتماعية، وهنا يكمن الفارق بين هذا النوع من التفسير والأسلوب الذي اتبعته التفاسير السابقة.

وينبغي على المفسّر الذي يتّبع هذا الأسلوب أن يكون محيطاً بأصول التفاسير التقليدية، وفي الوقت نفسه أن يكون مطلعاً على العلوم الحديثة والمسائل الاجتماعية.

ويهدف هذا الاتّجاه إلى ترويج الحركة الإصلاحية، ونفض غبار العادات والخرافات والتحريف والجمود عن الدين، والسعي لإيجاد هوية دينية مستقلّة في ظلّ المعارف القرآنية في المجتمع.

وعلى هذا الأساس، فإنّ من جملة مهام المفسّر الاجتماعي: الاستجابة لمتطلّبات العصر، وتطبيق الدين في ظلّ المتغيّرات الزمانية والمكانية، ومواجهة حالات سوء الفهم في التفسير، والتقابل مع سلبيات الحركة الاستشراقية، والتحصين ضدّ الهجمات الثقافية والشبهات والتشكيكات المُثارة حول القرآن، وإضفاء الهوية الإسلامية للمجتمع الإسلامي، وتحكيم النسيج الاجتماعي والديني في الأمّة الإسلامية، ومعالجة مظاهر الفقر والمشاكل الأخلاقية الناجمة عن التبعيض، وإيجاد الفوارق بين طبقات المجتمع، والقضاء على الجهل والأمّيّة.

المراد من الاتّجاه الاجتماعي في تفسير القرآن الكريم:

التفسير في الاصطلاح يعني الكشف عن الإبهامات الموجودة في كلمات القرآن الكريم أو عباراته، وتوضيح مقاصده وأهدافه، وبعبارة أخرى: هو توضيح المُفاد الاستعمالي للآيات، وتبيين المراد الواقعي منها؛ بالاعتماد على قواعد اللغة العربية وآدابها، وأسس المحاورة العقلائية[١].

وكما يتعرّض القرآن الكريم إلى المسائل العقدية والأحكام التكليفية للإنسان؛ فإنّ الكثير من مطالبه ترتبط بالحياة الاجتماعية للبشر، وقد أولى المفسّرون منذ القدم اهتمامهم بهذا البعد في القرآن، من خلال تفسير الآيات المرتبطة بالقضايا الاجتماعية. ولكنّ القرون الأخيرة شهدت رؤية اتّسمت بالحداثة لهذا الموضوع، وخاصة بعد الحركة الاجتماعية التي قام بها السيد جمال الدين الأسد أبادي المعروف بالأفغاني (ت ١٣١٥هـ) في مصر[٢].

والتفسير ذو الاتّجاه الاجتماعي هو التفسير الذي يسعى إلى إثبات صلاحية القرآن لهداية البشرية كافّة في العصر الجديد؛ من خلال كشف المفاهيم والدلالات الإرشادية للقرآن في جميع المسائل المرتبطة بالحياة الإنسانية - وخاصة المسائل التي لها مدخل في بناء المجتمع والإصلاح السياسي والاقتصادي... - وإيجاد الأسلوب الأمثل لمعالجة كافّة المشاكل الاجتماعية؛ بالاستناد إلى مدلولات الآيات القرآنية ومفاهيمها.

وقد يقترن الاتّجاه الاجتماعي في التفسير مع الاتّجاهات العامّة المتداولة في عصر المفسّر، كالاتّجاه الجهادي[٣]، والاتّجاه التربوي والإرشادي[٤]، والاتّجاه

(١) يُراجع: الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، لا ط، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣هـ.ش، ج٨، ص٤؛ السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، لا ط، قم، نشر الشريف الرضي، ١٤١٤هـ.ق/ ١٣٧٣هـ.ش، ج٢، ص١٩٢؛ الطبرسي، فضل بن حسن: مجمع البيان، لا ط، طهران، منظّمة الأوقاف الخيرية؛ دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤٢٦هـ.ق/ ١٣٨٤هـ.ش، ج١، ص١٣.

(٢) يُراجع: معرفة، محمد هادي: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، لا ط، مشهد، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلاميّة، ١٤١٨هـ.ق، ج٢، ص٤٥٦-٤٦٥؛ الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسّرون، لا ط، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦١م، ج٢، ص٥٨٥ وما بعدها.

(٣) كتفسير: المبين للشيخ محمد جواد مغنية.

(٤) كتفسير: إشعاع من القرآن لآية الله الطالقاني.

التقريبي، وكذلك الحركات الثورية ونهضات الإصلاح الاجتماعي، كما يُعدّ هذا الاتّجاه أحد أبرز اتّجاهات التفسير في العصر الحاضر.

وقد ذكر العلماء والمفسّرون تعاريف عديدة للتفسير الاجتماعي في مؤلفاتهم. يقول الدكتور الذهبي في كتابه«**التفسير والمفسّرون**»: «**يمتاز التفسير فى هذا العصر بأنّه يتلوّن باللَّون الأدبي الاجتماعي، ونعني بذلك: أنّ التفسير لم يعد يظهر عليه فى هذا العصر ذلك الطابع الجافّ، الذي يصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، وإنّما ظهر عليه طابع آخر، وتلوَّن بلون يكاد يكون جديداً وطارئاً على التفسير، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً - وقبل كلّ شيء -، على إظهار مواضع الدقّة في التعبير القرآني، ثمّ بعد ذلك تُصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها فى أسلوب شَيِّق أخَّاذ، ثمّ يطبّق النصّ القرآني على ما فى الكون من سنن الاجتماع، ونُظُم العمران**»[١].

ويعتقد الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي أنّ: «**في القرآن علاجاً للأمراض الاجتماعية، وحلولاً للمشكلات السياسية، والقضايا الأسرية؛ ولهذا اتّجهت طائفة من المفسّرين يعتنون بهذه الآيات، ويتوسّعون في تفسيرها، طالبين علاج مشكلات مجتمعاتهم؛ فينظر المفسّر إلى مجتمعه نظرة الطبيب الفاحص؛ يلتمس داءه، ويتعرَّف على علّته، حتى إذا عرفه، نظر في القرآن يطلب الدواء والعلاج، فإذا وجده، توسّع في شرحه وبيانه، وحثّ قومه على التزامه؛ فنشأ بهذا لون من ألوان التفسير؛ هو الإصلاح الاجتماعي.**

والمفسّرون كلّهم يتناولون هذه الآيات ويفسرونها، ولكنّ طائفة منهم تقف عندها، فتطيل الوقوف، وتربط بينها وبين ما هو سائد في مجتمعهم؛ ممّا هو مخالف لها. فتميّز تفسيرها بهذه الميزة، واصطبغ بهذه الصبغة»[٢].

(١) يُراجع: التفسير والمفسّرون، الذهبي، م.س، ج٢، ص٦٦.

(٢) يُراجع: الرومي، فهد بن سليمان بن عبد الرحمن: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ط٦، الرياض، مكتبة التوبة، ١٤٢٢هـ.ق، ص١٠٥-١٠٤. والكاتب نفسه: اتّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج٣، ط٣، الرياض، ١٤٠٦هـ.ق، ص٧٧٩-٧٧٨.

لكنّ التعريف الأكمل لمفهوم التفسير الاجتماعي يتجلّى من خلال تعريف التفسير الاجتماعي على نحوين، بحيث يعتمد كلّ منهما على الأسلوب الذي يتّبعه المفسّر في عملية التفسير:

أ. التفسير برؤية اجتماعية:

التفسير الاجتماعي هو تفسير الآيات، وتبيين المفاهيم القرآنية؛ من زاوية اجتماعية، ناظرة إلى الأبعاد الوجودية للإنسان وتغيّرات المجتمع، والأهداف التربوية والإصلاحية وتشريع القوانين. ويسعى المفسّر الاجتماعي إلى إيجاد الحلول؛ بالاعتماد على فهمه للمتطلّبات الفردية والاجتماعية، عبر المفاهيم القرآنية.

ب. التفسير المبني على أساس اجتماعي علمي:

التفسير الاجتماعي يسعى - بالإضافة إلى تبيين المسائل الاجتماعية المذكورة في القرآن الكريم- ، إلى الكشف عن الأصول والقواعد والسنن التاريخية والاجتماعية في القرآن الكريم. وفي هذا الاتّجاه التفسيري، يحاول المفسّر إيجاد انسجام في العلاقة بين الأهداف الدينية، والأهداف الاجتماعية، والعلوم الإنسانية.

الفرق بين التعريفين:

وهنا يُطرح هذا التساؤل نفسه، ما هو الفرق -إذن- بين التعريف الأول والتعريف الثاني؟

وللإجابة على ذلك نقول: إنّ التفسير الاجتماعي حسب التعريف الأول يمتاز بكون المفسّر يسعى إلى مجرّد شرح المفاهيم الاجتماعية في القرآن وتوضيحها، إلى جانب بيان المسائل الدينية الخاصّة بالمجالات الفردية، لكنّه يختلف عن غيره من المفسّرين بأنّه يهتمّ باستخلاص المفاهيم الاجتماعية في القرآن، ومن ثمّ بيان سُبُل تطبيق تلك المفاهيم على أرض الواقع؛ بمعنى معالجة المسائل التربوية والاجتماعية في الحياة الإنسانية؛ بالإعتماد على تلك المفاهيم التي استنبطها هو من القرآن.

وبعبارة أخرى: إنّ المفسّر الاجتماعي - حسب التعريف الأول -، هو كالمفسّر ذي الرؤية الفردية، الذي يتناول المسائل الدينية الخاصّة بالمجالات الفردية في القرآن الكريم، لكنّه يختلف عنه بأنّه - بالإضافة إلى ذلك -، يسعى للعثور على السبل الكفيلة بمعالجة المشاكل والآفات المستشرية في المجتمع، ويتحرّى بحثاً عن المفاهيم الاجتماعية في القرآن الكريم، وتوضيح آليات تجسيد تلك المفاهيم بصورة ملموسة.

أمّا المفسّر الاجتماعي - حسب التعريف الثاني -، فهو الذي يحاول إيجاد علاقة بين النظرية القرآنية في المجال الاجتماعي، وبين النظريّات المطروحة على ساحة العلوم الاجتماعية؛ فالمفسّر الاجتماعي - بناءً على هذا التعريف -، هو في الحقيقة عالم اجتماعي يقوم بتفسير القرآن الكريم؛ ولذلك نراه يطرح نظريّات علمية في المسائل الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية[1].

ويمتاز هذا الأسلوب من التفسير بمحاولة التوفيق بين القضايا الإسلامية وقضايا العلوم الإنسانية المعاصرة، ولا يخفى ما لهذا الأمر من أبعاد عديدة، فمن جهة، يجب تطبيق الأفكار القرآنية على المتغيّرات الاجتماعية، ومستجدّات العصر الحديث، ومتطلّباته، ومن جهة أخرى، يجب طرح حلول واضحة؛ بهدف إيصال المجتمع الإسلامي إلى أعلى قمم التوفيق والسعادة والفلاح.

وبطبيعة الحال، إنّ المفسّر في هذا الأسلوب ينظر إلى قضايا المجتمع الإسلامي المختلفة من موقع المسؤولية، ويبدي قلقه من تكرار الحوادث السابقة، ويسعى - من خلال ملاحظة السنن التاريخية -، إلى أن يتنبّأ بالحوادث والمتغيّرات القادمة، وإيجاد حلول لها؛ عبر الاستفادة ممّا استنبطه من الرؤية الاجتماعية القرآنية، ومن الطبيعي حينئذ أن لا تكون الحلول التي يطرحها مختصّة بجانب واحد، ومحدودة بمجال معيّن في الحياة الإنسانية، بل تشمل مختلف المسائل العقديّة، والاقتصادية، والسياسية، والأخلاقية، والحقوقية؛ وفق بعد اجتماعي.

(١) يُراجع: أيازي، محمد علي: المفسّرون حياتهم ومنهجهم، ط٢، طهران، مؤسسة الطباعة التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامية، ١٣٧٣هـ.ش، ج١، ص٥٣.

على هذا الأساس يتميّز هذا المفسّر؛ بكونه منظّراً، وعالماً اجتماعياً، وفيلسوفاً تاريخياً، يسعى - عبر دراسة المسائل العلمية وتحليلها -، إلى إيجاد نظريّات اجتماعية قرآنية، ويحاول الكشف عن القوانين والسنن الاجتماعية[1].

التفاسير الاجتماعية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر:

شهد العالم الإسلامي ظهور شخصيات إسلامية استطاعت أن تلعب دوراً مهماً في صحوة الأمّة الإسلامية، من خلال رفع شعار الإصلاح والتجديد، ونبذ العصبيّات، ووحدة العالم الإسلامي لمواجهة النفوذ الاستعماري الأوروبي، ومن هذه الشخصيات: رفاعة رافع الطهطاوي، والسيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وسيّد قطب...

وسعى المصلحون المعاصرون، من خلال تلك الأفكار؛ استناداً إلى المفاهيم القرآنية، أن يجدوا حلاً مناسباً للقضاء على التخلّف في المجتمعات الإسلامية.

ومن أبرز المميّزات التي تتّسم بها التفاسير المعاصرة، ذات الاتّجاه الاجتماعي، هو الارتكاز على الواقعيات، والاهتمام بالمتطلّبات على أرض الواقع، وبعبارة أخرى: تجاوز حدود المفاهيم المجرّدة والعلمية، ولحاظ الدوافع والحالات الملموسة، وسوق المفاهيم القرآنية باتّجاهها.

من هنا، فإنّ المفسّرين الذين أبدوا اهتماماً خاصاً بالمفاهيم الاجتماعية في تفسير الآيات القرآنية، يؤمنون بأنّ المجتمع الإسلامي غدا بعيداً عن المفاهيم القرآنية، وأنّه؛ لأجل إحياء الروح الاجتماعية للمسلمين، ينبغي تفسير القرآن في إطار الاهتمام بالمتطلّبات والواقعيّات الموجودة والملموسة في الحياة البشرية الحديثة.

وفيما يأتي بعض التفاسير المعاصرة التي انتهجت أسلوب الاتّجاه الاجتماعي[2]:

(١) يُراجع: المفسّرون حياتهم ومنهجهم، م.س، ج١، ص٧١.

(٢) هناك الكثير من المفسّرين والمصلحين؛ سواء من السنّة أو الشيعة في القرنين الأخيرين، الذين قاموا بتفسير القرآن من بُعدٍ اجتماعي، ونحن في هذه الدراسة سنذكر أهمّ تلك التفاسير على التوالي؛ بحسب تاريخ ولادة المفسّرين.

تفاسير أهل السنّة:

١ . تفسير المنار، الشيخ محمد عبده(١٣٢٣- ١٢٦٦هـ.ق)، ومحمد رشيد رضا(١٣٥٤- ١٢٨٢هـ.ق).

٢ . تفسير المراغي، الشيخ أحمد مصطفى المراغي(١٣٧١ – ١٣٠٠ هـ.ق).

٣ . تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب(١٣٨٦- ١٣٢٦هـ.ق).

٤ . تفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي(الولادة: ١٣٥١هـ.ق).

تفاسير الشيعة:

١ . الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي(١٤٠٢- ١٣٢١ هـ.ق) [١].

٢ . تفسير الكاشف، الشيخ محمد جواد مغنية(١٤٠٠-١٣٢٢هـ.ق).

٣ . تفسير المبين، الشيخ محمد جواد مغنية(١٤٠٠-١٣٢٢هـ.ق).

٤ . تفسير إشعاع من القرآن، السيد محمود طالقاني(١٣٩٩- ١٣٢٩هـ.ق)[٢].

٥ . التفسير الحديث، محمد تقي شريعتي(١٤٠٧- ١٣٢٦هـ.ق).

٦ . تفسير الأمثل، مجموعة من الكتّاب؛ بإشراف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي(الولادة: ١٣٤٧هـ.ق).

٧ . تفسير الدليل، الشيخ علي أكبر هاشمي رفسنجاني(الولادة: ١٣٥٥هـ.ق).

٨ . تفسير من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله(١٤٣١- ١٣٥٤هـ.ق).

٩ . تفسير من هدي القرآن، السيد محمد تقي المدرسي(الولادة: ١٣٦٦هـ.ق).

مباني الاتّجاه الاجتماعي في التفاسير المعاصرة:

يطلق مصطلح«**مباني تفسير القرآن**» على تلك المجموعة من الأصول

(١) (١٣٦٠-١٢٨١هـ.ش).
(٢) (١٣٥٨-١٢٨٦هـ.ش).

والثوابت العقدية أو العلمية التي يؤمن بها المفسّر، ويجعلها أساساً يُعتَمَد عليه حين ممارسة عملية التفسير[١].

وتنقسم مباني التفسير الاجتماعي إلى مجموعتين: المباني النظرية والمباني العملية، وسنتطرق في هذه الدراسة للبحث في هذه المباني.

ولتوضيح صورة هذه المباني نقول: إنّ الباحث الذي يريد دراسة محتوى نصّ معين، عليه أن يكون ملمَّاً بالمسائل التي تُعدّ بمثابة القواعد لفهم النص، وعلى هذا الأساس فإنّ أيّ مفسّر يجب عليه – بداية – أن يحدّد موقعه إزاء كلّ العناصر الدخيلة في تفسير القرآن الكريم، ويبيّن المبادئ والأصول التي يعتمد عليها في تفسيره؛ باعتبار أنّ المفسّر الذي يريد تفسير القرآن الكريم سيواجه – بداية –، تساؤلات ينبغي أن يجيب عليها؛ لكي يستطيع فهم النص بشكل صحيح، فلو فرضنا أنّه غفل عن تلك التساؤلات أو أهمل الإجابة عليها، وشرع في التفسير، فلا شكّ في أنّ تفسيره لا يكون حينئذٍ مستنداً على أسس صحيحة، وبالتالي لا يكون بعيداً عن محذور التفسير بالرأي.

فالمقصود – على هذا الأساس –، بمباني التفسير هي تلك الأجوبة الصحيحة ووجهة النظر التي يعتمد عليها المفسّر إزاء تلك الأصول والمبادئ المؤثّرة بصورة مباشرة في عملية التفسير.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الأسس الفكرية، والاجتماعية، والمنهجية التي اتّبعها المفسّرون المعاصرون، كان لها أثراً كبيراً في نوعية تفاسيرهم ومحتواها، حيث نلاحظ أنّ الاختلاف في الأسلوب الفكري بين المفسّرين أدّى إلى تباين منهجيّتهم بصورة كبيرة.

من هنا، تجب دراسة الأسلوب الفكري لدى المفسّرين الاجتماعيين، ومعرفة المباني النظرية والعملية التي اعتمدوا عليها.

(١) يُراجع: شاكر، محمد كاظم: مباني وأساليب التفسير، لا ط، قم، المركز العالمي للعلوم الإسلامية، ١٣٨٠هـ.ش، ص٤٠.

وفيما يأتي أهمّ مباني الاتّجاه الاجتماعي في التفاسير المعاصرة[1]:

أ) المباني النظرية:

١. أصالة الفطرة الاجتماعية للإنسان.

٢. أصالة تقديم الحياة الاجتماعية على الحياة الفردية.

٣. تأثير السلوكيات الفردية على المجتمع وبالعكس.

٤. إمكانية استخراج القوانين والتعاليم الاجتماعية واستنباطها من القرآن.

٥. التأكيد على قدرة القرآن الكريم على هداية البشرية في جميع العصور.

٦. شمولية هداية القرآن لكافة أبعاد الحياة الإنسانية (التأكيد على أنّ التعاليم الإسلامية هي تعاليم اجتماعية).

٧. الاهتمام بمتطلّبات الإنسان المعاصر.

ب) المباني العملية:

١. التأكيد على احتواء القرآن للأحكام والتعاليم الاجتماعية.

٢. التأكيد على اهتمام القرآن بالإصلاح الاجتماعي، بالإضافة إلى الإصلاح على الصعيد الفردي.

٣. السعي لتطبيق الدين على المتغيّرات الزمانية (التفسير العصري).

ومن خلال دراسة المنهجية الفكرية لدى المفسّرين الاجتماعيين المعاصرين من السنّة والشيعة، وتأكيدهم على ضرورة الاهتمام بالمفاهيم المتعالية للقرآن الكريم في المجتمعات الإسلامية، والتشديد على الاستفادة من تعاليمه وإرشاداته على مستوى الحياة الاجتماعية، يظهر أنّهم كانوا يشتركون في المباني النظرية والعملية، وفيما يأتي نذكر وجوه الاشتراك في هذه المباني:

(١) يُراجع: الرضائي، محمد علي: دروس في المناهج والاتّجاهات التفسيرية للقرآن، تعريب قاسم البيضائي، لا ط، قم، المركز العالمي للعلوم الإسلامية، ١٣٨٣هـ.ش، ص٢٨١.

أ) المباني النظرية:

١. أصالة الفطرة الاجتماعية للإنسان:

إنّ الإنسان مخلوق اجتماعي بالطبع؛ بمعنى أنّه يميل إلى الحياة الاجتماعية بصورة فطرية كامنة في ذاته، وهذا الميل يدفعه نحو التعايش مع الآخرين، وحسب هذه الرؤية فإنّ الإنسان مدني بالطبع.

وهناك نظرية أخرى تعتقد أنّ اجتماعية الإنسان لها أسباب خارجية وغير طبيعية، حيث إنّ الإنسان لا يستطيع بمفرده تأمين مستلزماته وحاجاته الضرورية، فهو مضطر – حينئذ –، إلى أن يعيش مع المجتمع، وحسب هذه الرؤية فإنّ الإنسان مدني بالقهر والإجبار[١].

فخلقة الإنسان من الناحية الجسدية والروحية تقوم على مبدأ أنّ قابليّاته تنمو وتتكامل في ظل الحياة الاجتماعية والتواصل مع أبناء جنسه؛ لتبرز بذلك مواهبه من خلال التعاون مع الآخرين في المجتمع الذي يعيش فيه.

لذا، فإنّ البيئة التي عاش فيها الإنسان كانت دائماً بيئة اجتماعية، وبطبيعة الحال فإنّ الوعي الاجتماعي الذاتي للإنسان له دور حاسم في صياغة الملامح الرئيسة للكيان الاجتماعي ورسم الخطوط العريضة لنوعية تصرّفاته؛ ولهذا السبب نرى الاهتمام الكبير الذي بذله القدماء لمقايسة المجتمعات بعضها مع بعض من خلال دراسة القواسم المشتركة ووجوه الإختلاف بينها[٢].

وعلى أيّة حال، فإنّ كيفية حياة الإنسان كانت دائماً بصورة اجتماعية، وهناك آيات قرآنية عديدة تشير إلى هذا الموضوع.

فبالإضافة إلى تعرّض القرآن لبيان الأحكام الفردية، فإنّه تطرّق أيضاً إلى تبيين الأحكام السياسية والاجتماعية، وأشار إلى العوامل الرئيسة لترقّي بعض الأمم والحضارات وتفوّقها، وانحطاط البعض الآخر وأفوله، كما أوضح القرآن الكريم أنّ فلسفة بعثة الأنبياء عليهم السلام والرسل عليهم السلام هي إقامة العدل والقسط في المجتمع.

(١) درآمدي بر جامعه شناسي اسلامي، لا ط، لا م، مكتب تعاون الحوزة والجامعة، ١٣٦٣هـ.ش، ص٢٠٩-٢٤٥.
(٢) درآمدي بر جامعه شناسي اسلامي، م.س، ص٣.

وعليه، فإنّ الحياة الاجتماعية هي ساحة للتعامل والتواصل بين المجتمع والأفراد، على قاعدة التأثير المُتَبَادل بين البيئة الاجتماعية والأفراد.

من جانب آخر فإنّ القرآن الكريم يَعُدّ العلاقات الاجتماعية أمراً ضرورياً لسعادة الإنسان وتكامله، كما أنّه يحدّد الوظائف والمسؤوليات المُلقاة على عاتق الإنسان الفرد؛ بهدف إصلاح المجتمع، ويحرص في التأكيد عليها؛ فحسب الرؤية القرآنية يعتبر مصير المجتمع والأفراد غير منفكّين عن بعضهما البعض، كما أنّ صلاحهما أو فسادهما مرتبطان ببعضهما البعض.

٢. تقديم الحياة الاجتماعية على الحياة الفردية:

إنّ القرآن الكريم يوافق النظرية القائلة: إنّ الحياة الاجتماعية مقدّمة على الحياة الفردية، فالقرآن، وفي قالب كونه كتاباً علمياً، يتحدّث عن المسائل المرتبطة بالعلاقة بين المجتمع والفرد؛ بصورة يمكن من خلالها تأييد هذه النظرية، فالقرآن يؤكّد أنّ للأمم(المجتمعات) مصيراً مشتركاً، وصحيفة أعمال مشتركة، كما يشير إلى الفهم، والإدراك، والعمل، والإطاعة، والعصيان في المجتمعات، ومن الواضح أنّه لو لم يكن للأمّة وجود خارجي، فلا معنى للمصير، والفهم، والإدراك، والإطاعة، والعصيان. وهذا دليل على أنّ القرآن يرى الحياة في إطار الحياة الاجتماعية، التي هي ليست مجرّد تشبيه أو تمثيل، بل هي قضية حقيقية، قال تعالى في محكم كتابه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[١].

فالحديث في هذه الآية هو عن حياة لها أجل معيّن لا مناص من وقوعه. وهذه الحياة مرتبطة بالأمّة، وليست بالأفراد. ومن الواضح أنّ الأفراد الذين يعيشون في الأمّة يفقدون حياتهم بالتناوب وبصورة متفرّقة، وليس في وقت واحد وبصورة جماعية[٢].

(١) الأعراف، ٣٤.

(٢) يُراجع: مطهّري، مرتضى: المجتمع والتأريخ، لا ط، قم، مكتب النشر الإسلامي التابع لجامعة المدرسين بالحوزة العلمية في قمّ ١٣٨٧هـ.ش، ص٢٩- ٣٥. والمؤلّف نفسه: الإسلام ومقتضيات الزمان، لا ط، طهران، نشر صدرا، ١٣٧٣هـ.ش، ج٢، ص٢١١-٢٢٤.

وحسب رؤية القرآن الكريم، فإنّ الإنسان باعتباره فرداً من أفراد المجتمع، لا يملك استقلالية كاملة، بل إنّ استقلاليّته ناقصة؛ بمعنى أنّ الإنسان كما هو عضو من أعضاء المجتمع ويتأثّر به، فهو في الوقت نفسه يستطيع أن يكون حاكماً ومؤثّراً في المجتمع؛ فالفرد في الوقت نفسه الذي يكون متأثّراً بالمجتمع الذي يعيش فيه، فهو –أيضاً–، يمتلك القدرة على أن يؤثّر في نفسه ويغيّرها بصورة كاملة، فلا يمكن بأية حال القول: إنّ فكر الإنسان ووجدانه وإرادته وإيمانه هي مجرد مرآة تعكس الأوضاع المحيطة به، ولذا نرى أنّ الإسلام يؤكّد باستمرار على مسائل من قبيل الأخلاق، والتربية، والدعوة، والتبليغ، والاختيار، وحرية الإنسان في المجتمع، وأمثال ذلك، بل إنّه اعتبر هذه المسائل هي الأصل والأساس، وأكّد أنّ العزّة والذلّة إنّما هي حالات اختيارية للإنسان[1].

ويطرح الشيخ جوادي آملي مسألة الأصالة من خلال ثلاثة أبعاد هي: البعد الحقوقي والبعد الاجتماعي والنفسي، والبعد الفلسفي، ويعتبر أنّ الأصل على المعنى الحقوقي هو تقديم الفرد، ويقول في هذا الخصوص: «**الظاهر أنّ الإسلام يرى أنّ الفرد مقدّم على المجتمع، لكنّ أصالة الفرد هذه ليست كما يعتقدها الآخرون؛ فالآخرون يقولون إنّ الفرد مقدّم لأجل الاستئثار، لكنّ الإسلام يقول: إنّ الفرد مقدّم لأجل الإيثار وليس الاستئثار، فالفرد بناء على الآية الكريمة: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2]، يغضّ الطرف عن حقّه؛ لأجل لقاء الله**»[3].

وفي مجال المسائل النفسية والاجتماعية، فإنّ رؤية القرآن تشير إلى أصالة الفرد، فالناس العاديون بوسعهم إيجاد التغييرات في المجتمع، لكنّ مهمّة بناء المجتمع لا يستطيع القيام بها إلا الأوحدي من الناس.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ

(١) يُراجع: الإسلام ومقتضيات الزمان، م.س، ص٢٢٢– ٢٢٤.
(٢) الحشر، ٩.
(٣) آملي، عبد الله جوادي: أصالة الفرد أو المجتمع من منظور القرآن، لا ط، قم، المؤتمر العلمي الخامس لعلوم ومفاهيم القرآن الكريم، ١٣٧٥هـ.ش، ص٣٣–٣٥.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١].

ورغم أنّ هناك إشارات كثيرة في القرآن الكريم لحوادث القرون الغابرة، ولكنّ أئمّة الهدى عليهم السلام هم وحدهم الذين استطاعوا بناء الأمم الصالحة والناجية، كما أنّ أئمّة الكفر هم بناة الأمم الهالكة.

فالمجموعة الأولى هم الذين يُعبّر عنهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[٢]، أمّا المجموعة الثانية، فيشير إليهم قوله عزّ وجلّ: ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾[٣]، وذلك بسبب: ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾[٤]، ومن ثمّ يأتي يوم القيامة الذي يشير إليه القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾[٥]، والأوحدي من الناس - على هذا الأساس -، هو الذي يستطيع سوق المجتمع إلى أحد الاتّجاهين: إمّا طريق الفلاح والنجاة، وإمّا سبيل الخسران والهلاك.

وفيما يتعلّق بمبحث الأصالة الفلسفية، يقول الشيخ جوادي آملي بعد تأكيده على ضرورة طرح هذه المسألة: لا يمكن القطع بتقديم حقّ المجتمع على حقّ الفرد أو بالعكس، إلا بعد ثبوت وجود المجتمع، وهكذا لا يمكن قبل ذلك الكلام، حول تأثير المجتمع في الفرد أو عدم تأثيره فيه، والسبب في ذلك أنّ المجتمع حينما لا يكون له وجود، فلا حقّ له ولا قدرة[٦].

أمّا الشيخ جعفر السبحاني، فهو يعتقد أنّ الاتّجاه الاجتماعي والاتّجاه الفردي هما بمنزلة الإفراط والتفريط، ويذهب إلى أصالة كليهما، فيقول: «**كلا النظريتين هما بمنزلة الإفراط والتفريط، فينبغي الاعتقاد بأصالة جامعة بين الفرد والاجتماع على حدّ سواء، فالإسلام من جهة يدعو لتزكية النفس وتهذيب الأخلاق، ويؤكّد على العبادات الفردية والشخصية، ويذكّر باستمرار**

(١) الجمعة، ٢.
(٢) الأنبياء، ٧٣.
(٣) التوبة، ١٢.
(٤) التوبة، ١٢.
(٥) الإسراء، ٧١.
(٦) أصالة الفرد أو المجتمع من منظار القرآن، م.س، ص٣٥-٣٨.

بمسألة إختيار الإنسان: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾[١]، وفي يوم القيامة يأتي الخطاب للمجموعات المنحرفة إثر وقوعها تحت تأثير العوامل السلطوية، بالقول: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[٢]. فهذه الآية ونظائرها تصرّح بأنّ الإنسان هو الذي يحدّد مصيره بنفسه، كما تؤكّد على حرية الإنسان وكونه مختاراً.

والإسلام – من جهة أخرى –، يرى أنّ العوامل الاجتماعية تكون مؤثّرة في حياة الفرد، كما يدعو الإسلام إلى تهذيب المجتمع؛ من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محذّراً: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[٣]؛ فلو كانت إرادة الفرد تابعة لإرادة المجتمع، فمثل هذه الدعوات إلى بذل الجهود والعمل على الإصلاح، تكون فاقدةً للمعنى.

وفي علم الاجتماع الإسلامي، ينبغي اعتبار أنّ المجتمع يمتلك قابلية الاختيار، حيث إنّ إرادة الإنسان تؤثّر بصورة كاملة في جميع الجزئيات الخاصّة بالمجتمع، فكما أنّ الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية تكون مؤثّرة في صياغة ملامح المجتمع، فإنّ معرفة الأفراد ومساعيهم وجهودهم مؤثّرة –أيضاً–، في اختيار الطريق والهدف، فالأنبياء عليهم السلام كلّهم، – بملاحظة صفة الاختيار في الإنسان –، كانوا يؤكّدون: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٤]. وحيث إنّ الفرد حرّ ومختار في انتخاب طريقه، فإنّ المجتمع حسب الرؤية القرآنية يتمتّع بكامل الحرية والاختيار، ويكون مسؤولاً عن أعماله، كما يقول تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٥].

لذلك، فإنّ القرآن الكريم يطرح رؤيته عن الفرد والمجتمع بصورة يستفاد منها أنّ وجود المجتمع الحقيقي يعتمد على وجود علاقة واقعية بين الفرد

(١) المائدة، ١٠٥.
(٢) النساء، ٩٧.
(٣) الأنفال، ٢٥.
(٤) المدثر، ٣٨.
(٥) البقرة، ١٣٤. والسبحاني، جعفر: منشور جاويد قرآن، لا ط، لا م، مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامّة، ١٣٦٠هـ.ش، ص٣٢٨-٣٣١.

والمجتمع؛ فالقرآن يعدّ كلّ أمّة ومجتمع لهما وجود، وإدراك، وعمل، وإطاعة، وعصيان، ومصير مشترك، وصحيفة أعمال مشتركة: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[١].

وحسب الرؤية القرآنية، فإنّ المجتمع يمتلك روحاً حيّة وجارية يطرأ عليها التغيير، كما أنّ الروح الآدمية عرضة لطرو التغيّرات عليها: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢].

فالمجتمع يمتلك روحاً، وعلى الرغم من أنّ ملامح المجتمع وأفراده يتغيّران بمرور الزمان، ولكنّ روحه لا تموت، بل تبقى حيّة؛ والمجتمع – بناءً على ذلك –، له وجود حقيقي، كما أنّ روح المجتمع متّصلة بروح الأفراد ولا تنفكّ عنها، وباستطاعة كلّ من هاتين القوتين أن تؤثّر في الأخرى؛ فكما أنّ المجتمع يمكن له أن يؤثّر في الأفراد، فالفرد يستطيع أن يؤثّر في المجتمع. ومن جانب آخر فإنّ جميع القوانين الحاكمة على الإنسان، هي حاكمة –أيضاً–، على المجتمع. وهلاك المجتمع – على هذا الأساس –، يوجب هلاك الإنسان، وبالعكس فإنّ هلاك الإنسان يتبعه هلاك المجتمع، كما أنّ إحياء إنسان واحد هو بمثابة إحياء للناس جميعاً: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[٣].

فالقرآن يعتبر القصاص مسألة حياة بالنسبة إلى المجتمع، قال –تعالى–: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٤]. وسنّة الاستدراج[٥]، كما هي حاكمة على الأفراد؛ فهي حاكمة على المجتمع. وجميع

(١) الأعراف، ٣٤.
(٢) آل عمران، ١٨٣.
(٣) المائدة: ٣٢.
(٤) البقرة: ١٧٩.
(٥) الأعراف: ١٨٢.

هذه الموارد لها مدلول واحد، وهو أنّ الفرد والمجتمع يعودان إلى أساس وأصل واحد، وأنّ الفرد والمجتمع أصيلان في وقت واحد.

ويمكن أن يستفاد من الآية الشريفة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[١]، - التي جاءت فيها عبارة «**ما بِقَوْمٍ**» بإزاء عبارة «**ما بِأَنْفُسهم**» -، أنّ هناك - أيضاً -، واقعية اجتماعية هي بإزاء الواقعية الفردية، وأنّهما مرتبطان ومتأثّران بعضهما ببعض[٢].

وإضافة إلى هذه الآيات الدالّة على أنّ المجتمع له وجود حقيقي، هناك آيات أخرى كثيرة تعبّر عن الفرد؛ باعتباره شخصية حقيقية، فكما أنّ«**القرى**»[٣] تتعرّض للهلاك، ولها أجل مسمّى، فكذلك الأفراد؛ حيث يشير القرآن إلى أنّهم سيتعرّضون للهلاك، ولهم أجل مسمّى؛ قال -عزّ وجلّ-: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٤].

ويلاحظ أنّ هناك بعض الآيات التي تدلّ على أنّ المجتمع له شعور ومعرفة، وهذا ما يفسّر توجيه الخطاب إلى المجتمع بصورة مباشرة[٥].

بناءً على ذلك، كما أنّ الإنسان الفرد؛ له عمل، ويطيع، ويعصي، ويمتلك وعياً وشعوراً، فكذلك المجتمع تماماً؛ فالمجتمع له وجود حقيقي، ويمتلك هوية مشخّصة، ويتمتّع بالروح والحياة الخاصّة به، وهو يمكن أن يكون مجتمعاً إسلامياً يسلّم لله -تعالى-، كما جاء في أحد أدعية نبي الله إبراهيم عليه السلام بعد أن رفع قواعد الكعبة؛ بمساعدة ابنه اسماعيل عليه السلام، أنّهما توجّها بالدعاء لله سبحانه وتعالى بأن يُخرج من ذريتهما أمّة مسلمة لأوامره عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[٦].

(١) الرعد: ١١.

(٢) علمي، محمد جعفر نجفي: برداشت از جامعه وسنن اجتماعي در قرآن، ط١، طهران، مؤسسة النشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٣٧١هـ.ش، ص٢٨.

(٣) الأعراف: ٩٧-٩٨؛ هود: ١٠٠-١٠٢؛ الكهف: ٥٩؛ القصص: ٥٩.

(٤) النحل: ٦١.

(٥) الأعراف: ٣٤؛ البقرة: ١٤١؛ المائدة: ٦٦؛ يونس: ٤٧؛ غافر: ٥؛ الأنعام: ١٣١.

(٦) البقرة: ١٢٨.

اتّضح ممّا تقدّم – إذن –، أنّ المجتمع يمتلك حقيقة واقعية نابعة من الأفراد؛ من حيث الآداب والسمات والأداء والإحساس والشعور، وأنّ له أصالة كأصالة الفرد.

٣. تأثير السلوكيات الفردية على المجتمع وبالعكس:

إنّ شمولية سنّة العقوبة والعذاب الدنيوي لجميع الأفراد الذين يعيشون في مجتمع ظالم، تدلّ على تأثير التصرّفات الفردية على المصير الجماعي، تماماً كما أنّ منهجية المجتمع وتصرّفاته وأداءه تؤثّر على الأفراد: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[1].

وفي آية أخرى يقول -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾[2].

فهذه الآيات تشير إلى أنّ الله -سبحانه وتعالى- لو شاء أن يؤاخذ الناس على ما يفعلون، لهلك جميع الناس، وهذا لا يعني –طبعاً- أنّ جميع الناس ظالمون؛ لأنّه يوجد فيهم أناس مؤمنون صالحون كما هو واضح، كالأنبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام والأوصياء عليهم السلام.

وفي الحقيقة، فإنّ هذه الآيات تتحدّث عن العقاب الدنيوي، وليس العقاب والعذاب الأخرويين؛ فالقرآن الكريم يؤكّد أنّ هذه العقوبة هي نتيجة طبيعية لما تقوم به الأمّة من ظلم وطغيان، وأنّ هذه النتيجة سوف يشهدها كلّ الذين يعيشون في المجتمع الظالم، وهي تشمل الجميع، بالرغم من أنّ أساليب الحياة الفردية لدى أفراد الأمّة تختلف من شخص لآخر، ويمكن التمثيل لذلك بالضلال والتيه الذي ابتلي به بنو إسرائيل إثر طغيانهم وتمرّدهم؛ فهذه الحالة لم تختصّ بالظالمين من بني إسرائيل، بل إنّها شملت حتى النبي موسى عليه السلام، الذي كان

(١) النحل: ٦١.
(٢) فاطر، ٤٥.

أطهر الناس وأشجعهم في مواجهة الظلم والطاغوت، فقد ابتُلي هو أيضاً بتلك الحالة؛ لأنّه عليه السلام كان جزءاً من الأمّة وفرداً من بني إسرائيل.

قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١].

وفي موضع آخر يقول -عزّ وجلّ-: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٢].

فالمقصود بالعذاب في هاتين الآيتين الشريفتين ليس العذاب الأخروي في اليوم الآخر، بل هذه هي السنّة التأريخية التي تواجه كلّ أمّة تعصي أوامر اللّه -سبحانه وتعالى-، وأمّا العذاب الأخروي فهو من نصيب الفرد المباشر بالمعصية فحسب[٣].

ويتطرّق القرآن الكريم في كثير من آياته إلى الهوية الاجتماعية للإنسان، فمن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿...لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٤].

وفي آية أخرى يقول سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٥].

ويُستظهر من هاتين الآيتين أنّ كلمة «**أجل**» قد أضيفت إلى كلمة «**أمّة**». فالأمّة هي عبارة عن هوية اجتماعية تُطلق على مجموعة من الناس، وأمّا «**الأجل**» فهو في حدّ نفسه الوقت المعلوم والمحدّد الذي يلاقيه كلّ فرد على حدة، وفي الآيتين المذكورتين نلاحظ أنّ «**الأجل**» قد تمّ تعيينه للأمّة المتكوّنة من الأفراد المرتبطين بعضهم مع بعض، والذين يقيمون علاقات مبتنية على أساس مجموعة من الأفكار والأصول.

(١) الأنفال، ٢٥.
(٢) الأنعام، ١٦٤.
(٣) الإسراء: ١٥؛ فاطر: ١٨؛ الزمر: ٧؛ النجم: ٣٨.
(٤) يونس: ٤٨.
(٥) الأعراف: ٣٤.

وعليه، إنّ المجتمع الذي يُعبّر عنه القرآن الكريم بـ«**الأمّة**» له أجل معلوم، ويتعلّق به الموت والحياة والحركة، كالفرد تماماً.

وهناك الكثير من الآيات في القرآن الكريم تتعرّض إلى مسألة الأجل الجماعي، منها قوله -تعالى-: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴾[١].

وفي موضع آخر، يقول -عزّ وجلّ-: ﴿مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴾[٢].

وفي آية ثالثة، يقول -سبحانه-: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٖ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾[٣].

حيث نلاحظ في هذه الآيات أنّ القرآن الكريم يشير إلى الأجل الجماعي، في حين أنّ أفراد المجتمع لا يموتون في وقت واحد عادة؛ فالأفراد بصورة عامّة يكون لهم أزمنة مختلفة للموت، ولكن حينما يتمّ تقويمهم على هيئة اجتماعية واحدة، ونعدّهم مجموعة واحدة، يتأثّر بعضهم ببعض؛ من حيث الظلم والعدالة، والخير والشر، فعندها يكون لهم أجل واحد، وهذا الأجل هو بنفسه أجل الأمّة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ۝٥٨ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴾[٤].

٤. إمكانية استخراج القوانين والتعاليم الاجتماعية واستنباطها من القرآن:

إنّ القرآن الكريم هو كتاب هداية للبشرية، يهدف إلى إحداث التغيير في الحياة الإنسانية، وهو التغيير الذي يعبّر عنه القرآن الكريم بخروج الإنسان من الظلمات إلى النور.

(١) الحجر: ٤-٥.
(٢) المؤمنون: ٤٣.
(٣) الأعراف: ١٨٥.
(٤) الكهف: ٥٨-٥٩.

ويعدّ حديث القرآن الكريم عن السنن التاريخية مؤشّراً على اهتمام هذا الكتاب العظيم بعمليّات التغيير الاجتماعي.

مصاديق السنن الاجتماعية:

ينبغي علينا؛ لأجل إيجاد نظام اجتماعي صالح، أن نحيط علماً بأبرز السنن وأهمّها في حياتنا الاجتماعية، وأن نحسن استخراج مصاديقها. ومن السنن الاجتماعية المذكورة في القرآن، الآتي:

أ) سنة آجال الأمم:

هناك آيات عديدة في القرآن الكريم[١] تشير إلى مسألة الأجل الجماعي، وقد ذكرنا آنفاً أنّ أفراد المجتمع لا يلاقون حتفهم في وقت واحد عادة، وأنّ الموت بالنسبة إليهم يحدُث في أزمنة مختلفة، لكن حينما ننظر إليهم في إطار اجتماعي، وعلى هيئة مجموعة واحدة؛ يتأثّر بعضهم ببعض؛ من حيث الظلم والعدالة، والخير والشرّ، فعندها يصدق عليهم أنّ لهم أجلاً واحداً، وهذا الأجل الجماعي هو ما يُعبّر عنه بأجل الأمّة.

ب) سنّة شمولية المصائب والمصاعب الدنيوية لجميع الأفراد الذين يعيشون في ظلّ مجتمع ظالم:

تشير آيات عديدة في القرآن الكريم[٢] إلى أنّ الله سبحانه وتعالى لو شاء أن يؤاخذ قوماً بما يرتكبون من أعمال، لهلك جميع الناس، وهذا لا يعني بالضرورة أنّ جميع الناس ظالمون؛ وذلك لوضوح أنّ فيهم أناساً مؤمنين وصالحين، كالأنبياء عليهم السلام والأئمّة عليهم السلام والأوصياء عليهم السلام.

والحقيقة أنّ العقاب الذي تتحدّث عنه تلك الآيات هو المصائب والمصاعب الدنيوية، وليس العقاب الأخروي؛ حيث يعدّ القرآن الكريم هذا العقاب نتيجة

(١) يونس: ٤٨؛ الأعراف: ٣٤؛ الحجر: ٤-٥؛ المؤمنون: ٤٣؛ الأعراف: ١٨٥.
(٢) الكهف: ٥٨-٥٩؛ النحل: ٦١؛ فاطر: ٤٥؛ الأنفال: ٢٥؛ الأنعام: ١٦٤.

طبيعية لأعمال الظلم التي تقوم بها الأمم الظالمة والطاغية، وهذا العقاب يكون على نحو يعمّ جميع الذين يعيشون في المجتمع الظالم، حتى ولو كان بعضهم مختلفاً عن بعض في الأسلوب والمنهجية في الحياة، نظير الضلال والتيه الذي لاقاه بنو إسرائيل نتيجة طغيانهم وتمرّدهم، وهو الابتلاء الذي لم يختصّ بالأفراد الذين ارتكبوا الظلم من بني إسرائيل، بل شمل حتى النبي موسى عليه السلام الذي كان أطهر الناس وأشجعهم على مواجهة الظلم والطاغوت، باعتبار أنّ النبي موسى عليه السلام كان أيضاً جزءاً من أفراد أمّة بني إسرائيل، وهذا هو منطق السنن التاريخية؛ فكلّ مجتمع يعذّب عذاباً دنيوياً، ولا يختصّ هذا العذاب بالظالمين أنفسهم، بل يشمل الجميع، بمن فيهم الصالح والطالح، في حين أنّ العذاب الأخروي يتعلّق بالفرد المذنب فقط[١].

ج) سنّة مخالفة المترفين لحركات الإصلاح الاجتماعية للأنبياء عليهم السلام:

إنّ القرآن الكريم[٢]، بالإضافة إلى تأكيده على السنن التاريخية، يؤكّد – أيضاً –، على السير والبحث في الحوادث التاريخية السابقة؛ لكي يستطيع الإنسان من خلال هذا البحث، أن يكتشف السنن، ويعتبر بها.

لذا، يؤكّد القرآن الكريم – أيضاً –، على أنّ المترفين لو أمسكوا بزمام أمور الناس، فإنّ المجتمع سيتلاشى ويتدمّر، وهذه إحدى السنن الإلهية التي لا تقبل التغيير[٣].

د) سنّة وفور المنتجات المادّية، عبر ثبات المجتمع واستقامته[٤]:

إنّ الله –سبحانه وتعالى –، وفي الوقت نفسه الذي يدعو فيه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله للاستقامة والثبات –، يؤكّد على النبي صلى الله عليه وآله بضرورة الاستفادة من تجارب الأنبياء السابقين عليهم السلام، ويعتبرها بمثابة قوانين وسنن عاش الأنبياء عليهم السلام أحداثها

(١) الإسراء: ١٥؛ فاطر: ١٨؛ الزمر: ٧؛ النجم: ٣٨.
(٢) آل عمران: ١٣٧.
(٣) فاطر: ٤٢-٤٣.
(٤) الأنعام: ٣٤.

وتفاصيلها، فيربط -سبحانه وتعالى- تلك الأحداث السابقة بعصر النبيﷺ، ويؤكّد أنّ النصر سوف يتحقّق، لكنّ تحقّق النصر يعتمد على بعض الأمور، كالصبر، والثبات، والاستقامة.

هـ) سنّة إيجاد التغيير من الداخل: من أجل تغيير الأوضاع الاجتماعية:

تتحدّث بعض آيات القرآن الكريم[1] عن سنن تاريخية تتمحور حول ما يوجد لدى الإنسان في قرارة نفسه، بوصفه القاعدة والركيزة الأساس في عملية التغيير الاجتماعي، حيث إنّ الوضع الاجتماعي يتمّ بناؤه وتشييده؛ بالاعتماد على تلك القاعدة.

وهذا البناء لا يمكن له أن يتغيّر إلا بإيجاد التغيير في القاعدة والركيزة الأساس؛ فالآية تتحدّث عن الارتباط المستقيم بين الأساس وبين البناء نفسه، ويتجلّى ذلك من خلال الارتباط الروحي، والنفسي، والفكري بين الإنسان والوضع الاجتماعي. فمن هنا كان وجود ارتباط بين الوضع الفردي والاجتماعي في حياة الإنسان يُعدّ سنّة تاريخية.

لذلك فإنّ القرآن يتحدّث عن قرب موعد النصر والدعم الإلهي، لكنّه يعدّ الوصول إلى هذا النصر مشروط بوجود برمجة دقيقة، حيث إنّ طريق الوصول إلى النصر يتمّ من خلال معرفة السنن التاريخية، بما يجعل الإنسان قادراً على نيل الموفّقية والنصر.

و) سنّة تضادّ مكانة المترفين مع مكانة الأنبياءعليهم السلام:

وجدت على طول التاريخ علاقات على نحو دائم بين الأنبياءعليهم السلام والأشخاص المترفين والمسرفين الذين كانوا يعيشون في الأمم والمجتمعات. وهذه العلاقات هي من نماذج السنن التاريخية، التي لم تحدث بصورة عابرة أو خاصّة بزمان معيّن، بل إنّ هذه الظاهرة يمكن لها أن تتكرّر وتحدث مرّة أخرى.

بالإضافة إلى ذلك كان هناك تضادّ بين المكانة الاجتماعية للأنبياءعليهم السلام

(١) الفتح: ٢٢-٢٣؛ الرعد: ١١؛ الأنفال: ٥٤.

والمكانة الاجتماعية للمترفين والمسرفين، وهذا التضادّ يرتبط في الحقيقة بدور كلّ من الفريقين - إيجاباً وسلباً -، في المجتمع، وهذه -أيضاً-، تعتبر من السنن التأريخية (النبي نوح عليه السلام وقومه/ النبي محمد صلى الله عليه وآله وقريش/ النبي إبراهيم عليه السلام والنمرود/ النبي موسى عليه السلام وفرعون/ نبي بني إسرائيل الذي أخبرهم بأنّ الله قد جعل طالوت ملكاً عليهم...)[١].

ز) سنّة دمار المجتمع نتيجة الظلم وفقدان العدالة:

هناك ارتباط خاص بين الظلم وفقدان العدالة، وبين هلاك أفراد المجتمع. وفي القرآن الكريم آيات تؤكّد أنّ هذه العلاقة هي علاقة منطقية ومتداخلة، وهي تعتبر أيضاً من السنن التأريخية (النبي نوح عليه السلام وقومه/ النبي هود عليه السلام وقومه/ النبي صالح عليه السلام وقومه/ النبي شعيب عليه السلام وقومه/ النبي لوط عليه السلام وقومه/ النبي موسى عليه السلام وفرعون...)[٢].

ح) العلاقة التناسبيّة بين استقامة المجتمع ونزول الخيرات والنعم:

يتحدّث القرآن الكريم في بعض آياته[٣] عن وجود علاقة خاصة بين الاستقامة والثبات وتطبيق الأحكام والتكاليف الإلهية في المجتمع من جهة، وبين وفور النعم والخيرات وزيادتهما من جهة أخرى؛ حيث يؤكّد القرآن الكريم على مبدأ العدالة في توزيع الثروات؛ لأنّ من جملة أهداف التشريعات السماوية بسط العدالة؛ فالمجتمع الذي لا يراعي العدالة سيُبتَلى بصنوف المشاكل والمعضلات، ويصيبه الفقر والمسكنة، أمّا لو تمّ مراعاة العدالة في المجتمع؛ فإنّ بركات السماء والأرض ستعمّ الناس، وهذه أيضاً من السنن التاريخية. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٤]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ

(١) سبأ: ٣٤-٣٥؛ الزخرف: ٢٢-٢٣.
(٢) الإسراء: ١٦-١٧.
(٣) المائدة: ٦٦؛ الأعراف: ٩٦؛ الجن: ١٦.
(٤) الأعراف: ٩٦.

﴿ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾[1].

إذن فمن مفهوم الآيات القرآنية التي تمّت الإشارة إليها بوصفها سنناً تاريخية، نستنتج أن القرآن الكريم أبدى اهتماماً خاصّاً بهذا الموضوع، وأنّ الإنسان المؤثّر والفاعل يجب عليه أن يتعرّف على هذه السنن، ويستخرج منها القوانين.

0. التأكيد على قدرة القرآن الكريم على هداية البشرية في جميع العصور:

من البديهي أنّ الدين هو احتياج فطري لكلّ إنسان، فإنّ فطرة الإنسان تشتمل على جانبين يتمثّل أحدهما بدوافع الإنسان وطاقاته وإمكانيّاته الذاتية؛ وهذا الجانب هو الذي يؤدّي – أحياناً –، إلى نشوء مشاكل اجتماعية كبيرة، بسبب حصول تناقض بين تلك الدوافع وبين المصالح الحقيقية العامّة للمجتمع الإنساني. أمّا الجانب الآخر من الفطرة الإنسانية فهو يتمثّل بوجود آليات وإمكانات في فطرة الإنسان؛ يستطيع من خلالها حلّ تلك المشاكل والمعضلات، ويعدّ توجّه الإنسان نحو الدين إحدى النماذج البارزة لهذا النوع من الميول الفطرية للإنسان، وبذلك تتولّى هذه الفطرة مسؤولية هداية الإنسان نحو الكمال، قال –تعالى– في محكم كتابه المجيد:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

ونلاحظ في هذه الآية النقاط الآتية:

أولاً: يعدّ الدين من الأمور الفطرية الإنسانية التي خلق الله سبحانه وتعالى جميع الناس على أساسها، ولا تبديل لخلق الله.

ثانياً: إنّ هذا الدين ليس سوى الدين الحنيف؛ الذي هو دين التوحيد الخالص، والذي باستطاعته هداية البشرية نحو النظام الاجتماعي الصحيح

(١) المائدة: ٦٦.
(٢) الروم: ٣٠.

والمصالح الاجتماعية الحقيقية، أمّا الأديان غير التوحيدية والمشركة فهي لا تستطيع حلّ مشاكل الإنسان؛ قال النبي يوسف عليه السلام لمن معه في السجن: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وهذه الآية تعني أنّ أمثال هذه العبودية هي وليدة دوافع شخصية قام المشركون بابتداعها للناس على أساس مصالحهم الشخصية؛ لكي يتمكّنوا من خلال ذلك إيجاد انحراف في الميول الطبيعية للإنسان؛ المتّجهة بالأساس نحو الدين الحنيف، وإيجاد فواصل بين ردّ الفعل الصحيح للميول الطبيعية نحو العبادة وبين التوجّه نحو الدين الأصيل.

ثالثاً: يشتمل الدين الحنيف، على خصائص عدّة؛ منها: أنّ هذا الدين هو القيّم على حياة الناس، وباستطاعته أن يكون حاكماً عليهم، أمّا الدين الذي لا يستطيع هداية الحياة الإنسانية، فهو لا يستطيع بطبيعة الحال أن يؤمّن المتطلّبات الفطرية للإنسان، ويكون عاجزاً عن حلّ مشاكله الأساسية المستعصية.

وعلى هذا الأساس، فبالإضافة إلى أنّ بعض المشاكل الأساسية في حياة الإنسان ناتجة عن فطرته الذاتية، إلا أنّ هذه الفطرة هي نفسها تستطيع حلّ مشاكله ومعضلاته، شرط أن تكون هذه الفطرة قد اختارت الدين الحنيف، فالدين الحنيف هو الذي يستطيع إيجاد الانسجام والتوازن بين الدوافع والقدرات الكامنة في ذات الإنسان، إذن فلا بدّ من أن تستقيم الحياة الاجتماعية للبشر في جميع مجالاتها على أساس الدين الحنيف؛ لكي يستطيع الدين حلّ المشاكل الهامّة والمستعصية في الحياة الإنسانية؛ من خلال الانسجام مع الفطرة الإنسانية[2].

(١) يوسف: ٤٠.

(٢) يُراجع: الصدر، محمد باقر: اقتصادنا، لا ط، قم، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٧هـ.ق، ص٣٥٦-٣٥٩.

٦. شمولية هداية القرآن لكافة أبعاد الحياة الإنسانية:

لا شكّ أنّ جميع مفسّري القرآن الكريم يؤمنون بأنّ القرآن الكريم هو كتاب هداية للبشرية. والشيء الذي جعل المفسّرين الاجتماعيين ينظرون للقرآن الكريم من منظار خاصّ هو تناول الكتاب جميع المستلزمات والمتطلّبات الفردية والاجتماعية، على جميع مستوياتها، وأنّه ليس هناك أيّة نقيصة أو قصور في هذا الجانب؛ فالقرآن يدلّ على أقرب الطرق وأفضل المناهج والأساليب للهداية.

إنّ هداية القرآن تشمل جميع الجوانب والأبعاد في الحياة البشرية الفردية والاجتماعية، الدنيوية منها والأخروية. فلو كان القرآن يتطرّق إلى مجرّد البعد الفردي للحياة الإنسانية، ولم يهتمّ بالمجتمع والحياة الاجتماعية، لأمكن اعتبار أنّ القرآن لم يبدِ عناية بالمتطلّبات الاجتماعية، لكنّنا نلاحظ احتواء القرآن الكريم على برامج عملية فاعلة للقضايا الاجتماعية، إضافة إلى المسائل الفردية. وعلى هذا الأساس يجب العمل على استخراج هذه البرامج والإرشادات ومعرفتها، وهذا ما يتولّى مسؤوليّته التفسير الاجتماعي.

وبما أنّ الدين الإسلامي يتولّى أمر هداية الإنسان، وبما أنّ الإنسان ليس بذلك الموجود الذي له بعد واحد، فالإسلام – أيضاً –، ليس ديناً ذا بعد واحد، بل إنّ له أبعاداً متنوّعة، منها: البعد العبادي، والأخلاقي، والحقوقي، والاقتصادي، والفردي، والاجتماعي، والسياسي، والحكومي،...

ولو ألقينا نظرة على التفاسير المتقدّمة، للاحظنا أنّ القليل منها تطرّق لدراسة البعد السياسي والاجتماعي في القرآن، ويُعدّ القرن الرابع عشر الهجري عصر الاكتشاف المجدّد للاجتماع والسياسة والحكومة من قبل المسلمين. وقد أبدى المسلمون حينها أهمّيّة خاصّة بتلك القضايا، وشهد العالم الإسلامي صحوة متميّزة؛ إثر الجهود التي بذلها المصلحون وعلماء الأمّة المخلصين، الذين حملوا آلام الأمّة، وسعوا إلى معالجة الأوضاع.

من جانب آخر، وتصوّر البعض أنّ الدين وتعاليمه ما هي إلا مجرّد برامج محدودة بعالم الآخرة، وأنّ الإسلام لا يمتلك أيّ برنامج يستفيد منه الإنسان

في دنياه، وبهذه الرؤية شرعوا بتفسير التعاليم الإسلامية، في حين أنّ الإسلام يعتمد على قاعدتين أساسيّتين، هما: التوحيد الذي يحدّد علاقة الإنسان ببارئه، والعدل الذي يشرح علاقة البشر بعضهم مع بعض.

إنّ القرآن الكريم يوضّح أنّ الهدف من بعثة الأنبياء عليهم السلام هوقيام الناس بالعدل والقسط[1]، وكذلك عبادة الله -سبحانه وتعالى-، والاجتناب عن الطاغوت[2]، فالأنبياء عليهم السلام بالإضافة إلى سعيهم لتصحيح علاقة الإنسان بخالقه، ودعوة الناس إلى التوحيد ورّد كلّ الطواغيت، فإنّهم قاموا – أيضاً -، بإصلاح علاقة الناس مع بعضهم البعض؛ من خلال الدعوة إلى العدل وإقامة القسط.

٧. الإهتمام بمتطلبات الإنسان المعاصر:

تعتمد هذه الفكرة على حقيقة أنّ القرآن لا يمكنه أن يتغاضى عن المنابع الإنسانية الأصيلة، وعدم اعتبار مفاهيم التطوّر والاستفادة من النعم الإلهية من الحاجات الإنسانية الضرورية. من هنا قام العديد من المصلحين، من أمثال: السيد جمال الدين الأفغاني، بوضع الركائز الأساسيّة لحركة الإصلاح الديني، وقاموا – بالإضافة لحثّ المسلمين على مراجعة القرآن الكريم والاستفادة من تعاليمه وإرشاداته -، بالردّ على الشبهات التي كانت تدور حول عدم اهتمام الدين الإسلامي والقرآن الكريم بالحاجات والمتطلّبات الاجتماعيّة والمادّيّة للبشر، والشبهات حول تعارض الدين مع العلم.

ب) المباني العملية:

١. التأكيد على احتواء القرآن على الأحكام والتعاليم الاجتماعية:

يعتبر الإذعان بمسألة نظر التعاليم القرآنية إلى الحياة الفردية والاجتماعية للإنسان؛ أحد المباني الفكرية للتفسير الاجتماعي. فدين الإسلام لا يتعرّض

(١) الحديد، ٢٥.
(٢) النحل، ٣٦.

للفرد ومستلزماته فحسب، ولا يتحدّد في نطاق التكاليف الفردية، بل إنّ التعاليم الإسلامية لها علاقة وثيقة بالحياة الاجتماعية، وليس هناك شأن مهمّ من شؤون الإنسان الاجتماعية إلا وللإسلام رأي فيه، كما أنّ له برامج كلّيّة وعامّة لكلّ التحدّيات الاجتماعية الرئيسة التي تواجهها البشرية. ومع هذا الاهتمام الواسع للقرآن الكريم بالحياة الاجتماعية، كيف لا يكون له إرشادات في هذا المجال، فعلى سبيل المثال: هناك مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصل التعاون، ومقارعة الظلم، والاهتمام بإقامة القسط والعدل، وغيرها من الأمور الاجتماعية التي يبدي القرآن اهتماماً خاصّاً بها.

٢. التأكيد على اهتمام القرآن بالإصلاح الاجتماعي، بالإضافة إلى الإصلاح على الصعيد الفردي:

إنّ من أهمّ تعاليم الأديان الإلهية، خاصة الدين الإسلامي، هو مواجهة الخرافات والقضاء عليها، فالأنبياء عليهم السلام سعوا إلى أن يتمكّن الإنسان من التمييز بين القضايا والمفاهيم الحقيقية وبين الخرافات التي يجب الاجتناب عنها، وإنّ من أهمّ نواحي المواجهة مع الخرافات، فيما يتعلّق بمجال الدين؛ هو ما يرتبط بالمسائل الخاصّة بمعرفة الكون، وأساس الخلقة، وماهية الخالق، والعبودية الصحيحة.

إنّ الهدف من بعثة الأنبياء عليهم السلام هو إرشاد البشرية إلى المعايير والأساليب الصحيحة لاتّباع الطريق الصحيح. ومن هنا، أبدى الأنبياء عليهم السلام اهتماماً خاصّاً بدعوة الناس للحكمة والتعلّم؛ بهدف الابتعاد عن الخرافات واجتنابها، كما أنّ المصلحين الاجتماعيين كان من أكبر همومهم مواجهة الانحراف الديني، والوقوف بوجه الخرافات المنتشرة في المجتمع، كما كان من أهمّ أهداف أولئك المصلحين مواجهة الغلو والابتداع الديني.

٣. السعي لتطبيق الدين على المتغيّرات الزمانية (التفسير العصري):

من أهمّ مباني التفسير الاجتماعي هو ملء الفراغ بين عصر نزول القرآن

الكريم وعصر التفسير؛ فإنّ الناس في هذا العصر بعيدون عن الأجواء التي نزل فيها القرآن الكريم، ويجب إحاطتهم بالقضايا والمشاكل التي كانت السبب في بيان هذه الأمور، وأهداف النزول وأسبابه، ولذا كانت المفاهيم والحقائق القرآنية قد خرجت بالتالي من أذهانهم، وتغيّرت الاصطلاحات القرآنية في أفكارهم، وبعبارة أخرى: إنّ واقع البعد الزمني من عصر الوحي، قد أدّى إلى الإبتعاد عن الأجواء التي كان يعيش فيها المسلمون آنذاك، وهذا ما أوجد بالتدريج تغييراً في فهم أهداف نزول القرآن، والالتزام العملي به، وابتعد المسلمون –بالتالي–، في هذا العصر عن فهم معنى القرآن.

كما أنّ أهمّ هدف في تفسير النصوص المقدّسة، هو ملء الفراغ، ورفع الفواصل، وإيجاد النَظْم والانسجام في النصّ؛ بشكل يتناسب مع متطلّبات الإنسان المعاصر؛ فتفسير النصّ المقدّس بلغة العصر لا يتحقّق إلا بملء الفراغ الأدبي، من حيث نوعية الخطاب؛ بما يتناسب مع مستوى الفهم والإدراك في كلّ عصر، وبعبارة أخرى: بيان المفاهيم القرآنية بشكل قابل للفهم والإدراك الملموس للإنسان المعاصر، وبالمستوى نفسه الذي كان مفهوماً للمخاطبين في عصر الوحي؛ وذلك لأنّ الكثير من مفاهيم النصوص المقدّسة غير قابلة للهضم عند الناس الذين لم يعيشوا أجواء عصر الوحي؛ إلا من خلال التفسير، ولا نعني بذلك تفسير الألفاظ، بل الكشف عن المعاني والمفاهيم، ونقلها من أفق فهم عصر النزول إلى أفق الفهم والإدراك المعاصر؛ بهدف رفع الإبهامات الموجودة؛ بسبب المسافة الزمنية الفاصلة بين الأفقين التاريخيين. وهذا هو المقصود بالتفسير العصري والاجتماعي.

على هذا الأساس يجب على المفسّر الاجتماعي في تفسيره للقرآن الكريم أن يقوم برفع الإبهامات التي حدثت بسبب الفاصلة الزمنية بين الأفقين التاريخيين، ويوضّح المضامين القرآنية بلغة قابلة للفهم للإنسان المعاصر، وبصورة عينيّة وملموسة، كما كان كذلك بالنسبة إلى المخاطبين في عصر الوحي.

٤. الاهتمام بالتجارب البشرية في فهم النصّ:

نظراً إلى أنّ القرآن الكريم يبيّن للمجتمع الإسلامي التجارب البشرية المختلفة، فإنّ تلك التجارب هي بصورة عامّة من نوع التجارب الاجتماعية؛ ذلك لأنّ القرآن يبيّن التجارب العملية للإنسان في الوقائع الحياتية للفرد والمجتمع؛ لكي يستطيع المجتمع الإسلامي الاستفادة من هذه الثروة الهائلة في حياته؛ لهذا السبب سعى المفسّر الاجتماعي للبحث عن هذه الدقائق وكشفها، منذ عصر آدم عليه السلام حتى عصر خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله؛ بهدف تربية المجتمع الإسلامي، وفيما يأتي بعض هذه التجارب:

أ) إنّ هدف القرآن هو إيجاد تغيير أساس في الإنسان والمجتمع، والهداية نحو الطريق الصحيح؛ من خلال بذل الجهد والحركة والفاعلية، كما أنّ أحد مباني الفكر الاجتماعي وضرورياته هو الكشف عن الدور الذي يؤدّيه الدين في الحياة الاجتماعية، وإظهار أهمّيّة الدين؛ بالاستفادة من الآيات والروايات والمباحث العقلية، وكذلك تحقيق الإصلاحات الاجتماعية؛ من خلال التأكيد على المسائل العقدية والقوانين الحقوقية والجزائية، وتبيين الاستراتيجيات الأخلاقية والتربوية.

ب) إنّ الإصلاح الديني، والإنساني، والاجتماعي، والسياسي، يُعدّ بأنواعه كلّها من ركائز دعوة الأنبياء عليهم السلام، بل إنّ أموراً، من قبيل: إصلاح النظام الحربي، ومواجهة الفساد، وإصلاح النظام المالي والاقتصادي، وتأمين الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية، وتأمين وسائل حرية التعبير، وبيان الأحكام السياسية والحكومية، يمكن أن نعدّها من ركائز دعوة الأنبياء عليهم السلام ووظائفهم.

ج) من الأهداف الهامّة للقرآن الكريم، بالإضافة إلى إرشاد الإنسان لنيل السعادة الأخروية، هو تضمين السعادة الدنيوية للبشرية، وبإمكان مفسّري القرآن الكريم أن يستخرجوا هذه الإرشادات؛

من خلال تفسير القرآن تفسيراً اجتماعياً، والاهتمام بالمسائل الاجتماعية الواردة في الآيات القرآنية، فالتفسير الذي لا يبدي اهتماماً بمستلزمات المجتمع الديني، ولا يجد حلاً لمعالجة مشاكل المسلمين، لا يعدّ تفسيراً جامعاً للقرآن الكريم.

د) تعتبر دعوة المسلمين إلى الوحدة والتلاحم، وطرح مناهج عملية لتحقيق الوحدة الإسلامية على أرض الواقع، وتبيين المشاكل والحواجز التي تحول دون وحدة المسلمين، جميعها من جملة التجارب التي مرّ بها المصلحون؛ من أجل بناء المجتمع الإسلامي.

هـ) يُعدّ تمركز القوى، ونشوء الاستبداد في المجتمعات من المشاكل الاجتماعية التي تعتبر مواجهتها من جملة تجارب الأنبياء عليهم السلام والأولياء عليهم السلام والمصلحين، كما أنّ الاهتمام بمسألة العدل والمساواة في التفسير الاجتماعي يعدّ نموذجاً من نماذج الاستفادة من التجارب البشرية في فهم التعاليم الدينية.

خصائص الاتّجاه الاجتماعي في تفسير القرآن الكريم:

من خلال دراسة رؤى المفسّرين المعاصرين وأفكارهم، يظهر هناك بعض القواسم المشتركة في تفاسيرهم، منها:

١. الاهتمام بالآيات القرآنية التي ترتبط ببيان المسائل الاجتماعية.

٢. الاهتمام بمشاكل المسلمين وتطبيق الآيات القرآنية على حياة الناس، وطرح سبل معالجة المشاكل الاجتماعية.

٣. قلّ ما يتطرّق هؤلاء المفسّرون للاتّجاهات الفلسفية، والمذهبية، واختلاف المدارس الأدبية والفقهية، فهم يسعون لأخذ العقائد من القرآن، لا أن يجعلوا القرآن تابعاً للعقائد والمذاهب.

٤. الاهتمام بالاتّجاهات العصرية في موضوع الجهاد الإسلامي، وضرورة مواجهة الأعداء؛ خاصّة الكيان الصهيوني، والمستعمرين الغربيين.

٥. التركيز الخاصّ على التعاليم التربوية والإرشادية في القرآن الكريم.

٦. مواجهة الروايات الموضوعة والضعيفة، والاجتناب عنها في هذه التفاسير.
٧. الاستفادة بصورة عامّة من أسلوب البيان السهل القابل للفهم؛ لكي يستفيد عامّة الناس في المجتمع من هذه التفاسير.
٨. ردّ الشبهات والمغالطات التي يطرحها المخالفون بالنسبة للإسلام والقرآن.
٩. تفسير السنن والقضايا التاريخية، وتطبيقها على قضايا العصر ومستجدّاته.
١٠. بذل الجهد؛ من أجل التمكين من إجراء أحكام الشريعة.
١١. الاهتمام بالعقل.
١٢. الاهتمام بالعلوم التجريبية والطبيعية.
١٣. الاهتمام بالجهاد الإسلامي، ومواجهة الاستعمار الغربي والكيان الصهيوني.
١٤. الاهتمام بمسألة الوحدة والجهود التقريبية، والسعي إلى وحدة الأمّة الإسلامية[١].
١٥. تعريف المسلمين وتوجيههم نحو إقامة العلاقات الاجتماعية مع بعضهم البعض[٢].
١٦. طرح سُبُل إقامة العلاقات بين المسلمين وغيرهم من الأمم الأخرى، والتأكيد على أصل نفي السبيل في السياسة الخارجية للإسلام[٣].
١٧. الاهتمام بموضوع الحكومة الإسلامية، والقضايا السياسية في المجتمع الإسلامي.
١٨. بيان المسائل المختلفة المرتبطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) آل عمران، ١٠٣.
(٢) آل عمران، ٢٠٠.
(٣) النساء، ١٠١.

١٩. الاهتمام بالجوانب التربوية والأخلاقية في أمور الصحّة الفردية والاجتماعية (الإسراف، الطعام النظيف، ...).
٢٠. الاهتمام بمسألة التعاون الاجتماعي(في الأمور الخيرية، وإعانة الفقراء، ...).
٢١. بيان مسألة حرّيّة الإنسان، خاصّة حرية التعبير، والحقوق الاجتماعية، وضرورة مكافحة الظلم والاستبداد.
٢٢. إنّ المفسّر الاجتماعي يمتلك نفسية اجتماعية، ولا ينظر للآيات القرآنية والأحكام الإسلامية من زاوية فرديّة.
٢٣. المفسّر الاجتماعي يكون مبدعاً، ولا يقلّد أساليب الآخرين في التفسير، ويسعى من خلال بيانه العذب إلى تطبيق الآيات القرآنية على المتطلّبات العصرية، وبأسلوب قابل للفهم لدى الجميع.

نتيجة البحث

لقد اقترنت حركة الصحوة الإسلامية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر للهجرة بالعودة إلى القرآن الكريم، وبذل الجهود الوافرة؛ لطرح أسلوب جديد في تدوين التفاسير، وهو ما تمثّل بالاهتمام بالاتّجاه الاجتماعي في تفسير القرآن، فالمسلمون - من خلال تجديد رؤيتهم وفهمهم للقرآن الكريم -، استطاعوا أن يُضفوا روحاً جديدة لإيمانهم ومعنوياتهم وحياتهم من جهة، ومن جهة أخرى تمكّنوا من تأمين المتطلّبات العلمية والدينية؛ بما يتناسب والعصر الجديد.

كما أنّ من أهمّ العوامل التي أدّت بعلماء التفسير لانتهاج الاتّجاه الاجتماعي في تفسير القرآن الكريم هو شعورهم بضرورة النهوض العلمي في المجتمعات الإسلامية، وضرورة الإجابة على الشبهات المطروحة حول الإسلام والدين بصورة عامّة، ومواجهة الهجمات الثقافية الغربية، والقضاء على مظاهر التأخّر والرجعية المستشرية في المجتمعات الإسلامية، ودعوة المسلمين إلى الاستفادة من الكنوز المعرفية للقرآن الكريم.

وبمطالعة الأفكار الاجتماعية عند المفسّرين المعاصرين، ومحاولة استخراج المباني النظرية والعملية للاتّجاه الاجتماعي في تفسير القرآن، نستنتج أنّ القرآن الكريم لا يتعرّض فقط للأبعاد الفردية والنواحي الأخروية للإنسان، بل إنّ له –أيضاً– اهتماماً وعنايةً خاصّة بالجوانب الاجتماعية والقضايا الدنيوية في حياة البشر؛ فإنّ احتواء الدين الإسلامي على أحكام اجتماعية؛ نظير الحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخمس، والزكاة، والاهتمام –كذلك–، بأمور المسلمين، ودعوة الأمّة الإسلامية إلى الوحدة، والتشجيع على التعاون على البرّ، وقضاء حوائج الناس...، كلّ ذلك يدلّ على أنّ الدين الإسلامي هو دين اجتماعي، وهذا هو السبب لكي يكون أحد أهمّ وظائف الأنبياء عليهم السلام هو توجيه الناس وإرشادهم إلى هذا الأصل.

لذا اهتمّ المفسّرون المعاصرون في القرنين الأخيرين بهذا الجانب، وسعوا إلى توضيح المفاهيم الاجتماعية في القرآن الكريم وتفسيرها، فبادروا إلى إصلاح المجتمعات الإسلامية؛ من خلال دعوة المسلمين للعودة إلى القرآن الكريم، والاستفادة من التعاليم والإرشادات القرآنية، وتجسيدها في مختلف شؤون الحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية، وبذلك سعوا إلى رفع مستوى وعي الأمّة لمواجهة المترفين والظالمين وأعداء الإسلام والمسلمين، وهو ما نتج عنه ارتقاءً نوعياً في حركة الصحوة الإسلامية؛ أسفر بالتالي عن مواجهات حاسمة مع بعض الأنظمة الحاكمة في عدد من الدول الإسلامية، وأدّى بعضها إلى اندلاع ثورات عارمة، وسقوط بعض الأنظمة.

فعلى هذا الأساس، إنّ نشوء تحوّلات أساسيّة على الصعيد الفكري والاجتماعي في المجتمعات الإسلامية، وكذلك ضرورة الإيفاء بالمتطلّبات الضرورية للأمّة الإسلامية على الساحة الفكرية، أدّيا إلى ظهور اتّجاه جديد في تفسير القرآن الكريم؛ هو الاتّجاه الاجتماعي. ومن أهمّ مميّزات هذا الاتّجاه: التأكيد على قابلية القرآن الكريم لهداية البشرية في جميع العصور، ووجود الأحكام والتعاليم الاجتماعية في القرآن، واهتمام القرآن بالإصلاح الاجتماعي؛ بالإضافة إلى الإصلاح الفردي، والسعي لتطبيق الدين الإسلامي على المتغيّرات

العصرية، وتطبيق القرآن على السنن الاجتماعية، والمقارنة بين الخصائص التاريخية للقصص القرآنية والأوضاع الاجتماعية في هذا الزمن، واستخراج السنن التاريخية والقوانين الاجتماعية العامّة من الآيات القرآنية، والعمل على تجسيد التعاليم القرآنية على مستوى المجتمع، وبيان طريقة ذلك بشكل عامّ، وشرح المعارف والأحكام الاجتماعية؛ بهدف تربية الإنسان وإصلاح شؤونه، وتشريع القوانين...

إذن، نستنتج ممّا تقدّم أنّ التفسير الاجتماعي للقرآن الكريم، يشتمل - بالإضافة إلى المباني التفسيرية العامّة-، على أصول وقواعد خاصّة. والظروف والأوضاع التي يعيشها المفسّر الاجتماعي لها دور كبير في صياغة رؤيته الخاصّة للآيات الاجتماعية في القرآن الكريم. لهذا السبب نلاحظ أنّهم يستخدمون أساليب مختلفة في تبيين التعاليم الاجتماعية وتوضيحها، كالأسلوب العقلي، والرؤية الموضوعية، والأسلوب التحليلي والإقناعي، وهي أساليب يمكن بحثها في دراسة مستقلّة.